قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا طينا حال إما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتن إلى يوم القيمة واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته إلا قليلا لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما فإن قلت من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس فإن قلت أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر في لصاحبك عرضه فره واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد استفزه استخفه والفز الخفيف وأجلب من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل ويضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لها يقال رجل رجل أي راجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكوة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس أن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر صادا عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال تعالى للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه والضر خوف الغرق ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه